دروس الحديث الشريف الشيخ الطبيب محمد خير الشعال

سلسلة الأحاديث القدسية

((حديث الأولياء(2)))

إتقـان الفـرائـض

الحمـد لله رب العـالمين، والصـلاة والسـلام على سـيدنا محمـد وعلى آلـه وصـحبه أجمعين.

يقول الله تعالى في الحديث القدسي:

((مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَلا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ)) [البخاري].

هذا الحديث يسمّى حديث الأولياء، وفيه ثلاث فقرات:

الفقرة الأولى : معاداة الأولياء (والعياذ بالله تعالى).

الفقرة الثانية: ما تقرّب إليّ عبدي بشيء أحبّ إليّ مما افترضته عليه.

إذا أخذنا العقل وحده بدون تشريع، نجد أنه يدرك أن هناك إله في هذا الكون، فالذي يدرس هذا النظام الكوني، الذي يدرس هذه النباتات، الذي يدرس جسم الإنسان، مئة بالمائة (لو لم يكن هناك دين ولا قرآن ولا رسول) فإنه سيدرك أن لهذا الكون خالق.

لكن ما الذي يحبه هذا الخالق وما الذي يكرهه؟!.

العقل لا يستطيع أن يصل إلى هذا الأمر، لابد من تشريع، ولابد من كتاب ينزل من السماء، يقول الله تعالى فيه: أنا أحب كذا، ولا أحب كذا، لا بد من رسول يُخبرنا أن: الله يحب كذا ولا يحب كذا.

الآن الله عز وجل أخبرنا في القرآن الكريم، والنبي صلى الله عليه وسلم أخبرنا في الحديث الشريف أن: **من أحب الأعمال إلى الله الفرائض**.

نجد الشيطان في بعض الأحيان يغرينا بالنوافل، ويصرفنا عن الفرائض، فمثلاً يصلي الرجل عشرين ركعة تراويح، لكنه لا يصلي الفجر! هذا الفعل ليس صحيحاً.

سيدنا عمر رضي الله عنه، أُخبِرَ عن رجل صلى كل الليل، فلما كان قبل الفجر بقليل نام، فذهبت عليه صلاة الفجر، فقال عمر ليته نام كل الليل، وصلى الفجر!.

فركعتا الفجر خير من ألف ركعة نافلة، بل هي خير من مئة ألف!. ((**وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ...**))

✓ فتاة مسلمة، الله عز وجل افترض عليها الحجاب، هذا الحجاب أحب إلى الله تعالى من مئة مليون ليرة سورية صدقة، لأن الله تعالى هكذا يحب، وهكذا يريد.

✓ الصلاة فرض، الصوم فرض، الزكاة 2.5% فرض، ومهما أردت أن تفعل من الصالحات، لا قيمة لها، إن لم تدفع زكاة مالك 2.5%!.

✓ الحج فرض، فمثلاً صار عمره سبعين عاماً، وحتى الآن لم يذهب إلى الحج، وعنده كل الإمكانيات، لماذا لا تذهب إلى الحج؟! قال: والله هناك أعمال متتابعة عندي، وليس عندي وقت فراغ!.

أنت تضيّع الأوقات ، وتضيّع منزلة لك عند الله تعالى. ((**وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ...**)).

لو أتقنا الفرائض لنجونا، **ترك الحرام وإتقان الفرائض**، كاف للنجاة، فقط أتقن الصوم والصلاة والزكاة والحج، وبالنسبة للمرأة المسلمة: الحجاب والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وينتهي واجبك!.

لكن هناك درجات أعلى، تأتي من فعل النوافل، سأذكر لكم قصة، وهذه القصة فيها ابتسامة، وفيها فائدة تربوية كبيرة، وعلى جانب كبير من الصواب:

✓ مُدَرِّسَةٌ في مدرسة للأطفال الصغار، قالت لهم: يا أولاد غداً سأعطيكم رقم رب العالمين، والذي يريد أن يتكلّم مع ربّ العالمين غداً سأعطيكم الرقم، الأولاد ذهبوا إلى بيوتهم، وكل منهم يقول: ماما بابا، الآنسة غداً تريد أن تعطينا رقم رب العالمين، الآباء والأمهات استغربوا ما هذه الآنسة ؟! أهي علمانية ؟! أم هي شيوعية ؟! ما رقم رب العالمين؟!.

ثم قالوا: ننتظر حتى نرى ماذا ستفعل هذه الآنسة!.

في اليوم التالي ذهب الأطفال إلى المدرسة فقالت لهم: سجّلوا عندكم الرقم: 24434. سجّل الأولاد الرقم، وذهبوا إلى البيت، وفتحوا الهاتف واتصلوا بهذا الرقم، فلم يجدوا رداً، وكرّروا الاتصال طيلة النهار، ولم يجب عليهم أحد.

في اليوم التالي، قالوا : يا آنسة ما هذا الرقم ؟لم يجبنا أحد.

قالت: أنتم ماذا فعلتم؟.قالوا: اتصلنا بالهاتف.

قالت: هذا ليس رقم هاتف، هذه الفرائض الخمسة!. صلّوا: اثنتين الفجر، وأربعة الظهر، وأربعة العصر، وثلاثة المغرب، وأربعة العشاء، ثم قل يا الله وسيستجيب لك الله تعالى !.

جاء في بعض الآثار: **إن الله تعالى لا يقبل نافلة ما لم تؤد فرائضه**.

وسيدنا أبو بكر الصديق عندما أراد أن يجعل سيدنا عمر بن الخطاب خليفة كتب له كتاباً قال له: **يا عمر إن لله تعالى عملاً بالليل لا يقبله بالنهار، وإن لله تعالى عملاً بالنهار لا يقبله بالليل.**

فالله تعالى افترض فرائض في أوقات معينة، وأنت يجب أن تضع برنامج حياتك على هذه الفرائض. تجد أحدهم يقول: والله هذا صعب!. طبعاً الالتزام صعب، والنفس لا تحب الالتزام!.فيجب عليك أن تدرّبها وتعوّدها على الالتزام بما أمر الله تعالى.

تجد فتاة مسلمة تضع الحجاب في رمضان، وبعد رمضان تخلعه؟

تجد فتاة تأتي إلى صلاة التراويح، ونحن نفتخر بتلك الفتاة، لكن بقي خطوة صغيرة، أن تضعي الحجاب داخل وخارج المسجد، أنت وضعتي الحجاب في صلاتك لله، والله تعالى فرضه من فوق سابع سماء، وأنتِ عبد من عبيد الله.

هل تعرفين أن خفقات قلبك في يده؟ إذا أمر أن يقف، فهل يكون بالوسع شيء؟!. إذا أمر كليتك أن تتعطل، أو الكبد أن يتوقف، إذا أمر الغدد اللعابية أن تقف عن الإفراز!. إذا أمر الدماغ أن لا يسيطر على العضلات!، لم يعد هناك جمال ولا كمال، ولا طول، ولا .. والله تبكي على الإنسان في منظره، عندما تشتد به الآلام، والبلايا.

نحن أقرب شيء وأفضل شيء وأحب شيء نتقرب به إلى الله تعالى الفرائض، والأمر بحاجة إلى مجاهدة، فيجب عليك أن تجاهد نفسك.

يقول أحد الصالحين: غالبتُ نفسي في الصلاة عشرين سنة، عشرين سنة وأنا أجاهد نفسي الأمّارة بالسوء، شدة وعذاب ومعاناة، واستمتعتُ بها عشرين سنة، وبعد عشرين سنة، مشى فيه ممشى الصلاة، فصار يتذوّق طعم الصلاة!.

أحيانا بعضهم يقول: أنا أصلي لكن لا أستمتع في القراءة، أو في الركوع أو في السجود!.نقول له :

طالب المدرسة عندما يدخل إلى المدرسة، في الصف الأول، لا يعلم ما معنى العلم، وفي الصف الثاني، لا يعلم كذلك ما معنى العلم، وفي الصف الرابع والخامس والسابع والعاشر، و...، لكن عندما يتخرّج من كلية الهندسة مثلاً يرى كم هي ثمرات العلم.

يصبح إذا استلم مشروعاً، وأداره ساعتين في اليوم، يأخذ عليه من الأجر، كما يأخذ الذي ترك العلم في سنة، فهو يحصد نتائج العلم بعد عشرين سنة من العمل!. فالصلاة كذلك، والصوم هكذا، والانضباط بالشرع هكذا !.

ولعلّ أحدنا يُمتحن، يعني لما ينضبط بالشرع تزدحم عليه الهموم، وتزداد عليه البلايا، و تطوف حوله النوائب، يقول لك: والله قبل الالتزام، كانت أموري جيدة، انظر بعد الالتزام، ماذا حدث معي ؟! **اعلم: أن الله تعالى يريد أن يختبرك**، وليس من المعقول من أول لحظة أن تحصد نتائج ما فعلت، **فشتلة الزيتون تزرعها اليوم، وبعد خمس سنين تحصدها أول مرة!**.

النبي صلى الله عليه وسلم: بقي ثلاث عشرة سنة في مكة، ولم يحصد شيئاً من معاني النصر الإلهي!، وحتى في المدينة المنورة كان هناك تعب، ولعلّ النبي صلى الله عليه وسلم مات، ولم يرى نصرة الإسلام والمسلمين كما طمح لذلك، لكن صحابته من بعده هم الذين جنوا النصر!.

فأنت ليس من أول يوم تنضبط فيه بالصلاة، وتنضبط بالصوم، وتنضبط بالزكاة وتنضبط بالحج، وتنضبط بـ...، وستنال المكاسب فوراً! دع المكاسب، وستأتي إليك لا محالة.

أقرب شيء تتقرب به إلى الله تعالى الفرائض، وعندما يلتزم أحدنا بهذه الفرائض يصبح عنده لذة كبيرة، وإن لم تصدقوا، أسألوا أصحاب صلاة الفجر، والله لو أعطيته الدنيا كلها لقاء أن يترك صلاة الفجر جماعة في المسجد لا يقبل، لا يبدل الدنيا بهاتين الركعتين.

سلوا الذين ينضبطون بالصلوات الخمسة، وبالصوم وبالزكاة، والله أحيانا يأتيني بعض الناس، من الذين اعتادوا على الخير، تجد الخير يجري منهم مجرى الدم، بحيث إذا مُنِعوا عنه، يشعرون بضيق وحزن شديدين!.

الذي يعتاد الخير، لا يستطيع أن يمتنع عنه بعد أن يبدأ به، يحترق قلبه إذا فاته ذلك الخير.

الذي تفوته صلاة الفجر، وهو معتاد عليها تجد البسمة طيلة نهاره ممنوعة عن وجهه، يقول لك: صلاة الفجر، هو صلّاها، ولعله صلاها جماعة، لكن ليس في المسجد!.

الخير عادة، فعندما تعتاد على فرائض الله تعالى، وعندما تعتاد على البرنامج الذي وضعه لك الله سبحانه وتعالى، تستقيم أمورك، فنحن عبيد لله تعالى، والحقيقة أننا لا نعلم أين الخير، أحيانا أحدنا يدخل في مشروع، ويظن أن هذا المشروع سيرفعه إلى السماء، وإذا بهذا المشروع نفسه يجعله في الأرض.

أحدنا أحيانا يتزوج امرأة ويظن أن كل أبوب السعادة عند هذه المرأة، وإذا كل أبواب الشقاء جاءته من هذه المرأة، أحدنا يتمنى ويرجو من الله ويسأله أن يرزقه ولداً ذكراً، حتى إذا جاء الولد الذكر وكبر جعل الهمّ يركب أباه.

فلو كان معنا شهادات جامعية، ولو كان معنا مناصب اجتماعية، صدّقوا نحن لا نعرف أين الخير بالنسبة لنا، لكن الله عز وجل يعلم أين الخير بالنسبة لنا، لذلك هو يدلنا يا

عبادي اذهبوا لليمين، يا عبادي اسلكوا هذا الطريق، يا عبادي لا تفعلوا كذا يا عبادي افعلوا كذا، وهكذا.

الآن من جملة ما يرشدنا الله به **الفرائض**، فتعالوا والآن نحن في رمضان، ورمضان هو دورة تدريبية، انظروا الآن ما شاء الله، كم منا الآن في صلاة العشاء، ومثلنا في صلاة الفجر، ومثلنا في الظهر والعصر!.

يعني رب العالمين يقيم لك دورة تدريبية ثلاثين يوماً. رب العالمين أهدى لك الآن دورة تدريبية ثلاثين يوماً على الصلاة، ودورة تدريبية من أجل أن تتدرّب على مواجهة نفسك الأمارة بالسوء!.

الماء أصلاً شربه حلال، لكن في النهار كلكم لا يشرب الماء، لماذا؟ لأن الله تعالى أمركم ألا تشربوا الماء في الصيام، والطعام حلال، لكنكم لا تأكلون، لأن الله أمركم بذلك، وزوجاتكم في بيوتكم حلال، ومع ذلك، لا أحد منكم يقترب من زوجته جماعاً، لأن الله تعالى أمركم بِعدم الاقتراب.

رب العالمين أقام لك دورة تدريبية ثلاثين يوماً، أن تترك الحلال.فما بالك بالحرام؟!. **من باب أولى أن تترك الحرام**.

أنت تستطيع أن تعيش بدون تلك الصفقة، لكن لا تستطيع أن تعيش بدون الماء!، ولقد تركت الماء، ومعنى ذلك أنك قادر أن تترك المال الحرام، قادر أن تترك النظر إلى الحرام!.

أحيانا شاب يقول لك: والله لا أستطيع، إذا مرت فتاة متزينة فإني أنظر إليها، لكنك أنت الآن غضضت بصرك.

أحيانا فتاة تنظر إلى الرجال وتقول لك: أنا لا أستطيع أريد أن أنظر، وها أنتِ تركت الشراب من أجل الله، تركتِ الماء التي تموتين بدونه!.

رب العالمين يدربنا على الصلاة في رمضان، وعلى الصيام في رمضان، وعلى مساعدة بعضنا البعض في رمضان، وعلى اجتماعنا مع بعض في رمضان، من أجل أن نستمر على ذلك بعد رمضان.

أول رتبة من أجل أن تكون من الأولياء ***حافظ على الفرائض***.

وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

والحمد لله رب العالمين .